تحققات تاريخية

Identifications de certains lieux à Baghdâd

٥ — الفردوس قصر لا نهر

ورد في ص ١٣—١٤ من كتاب عمران بغداد : « ونهر المعلى وكان يجري في اعظم محلة ببغداد اي محلة الخلفاء ودواوينهم ويستمد مائه (كذا) من نهر الخالص وقد سمي بالفردوس » قلنا : ان الفردوس قصر لا نهر ففي ص ١٩ من مناقب بغداد : « وكان في الجانب الشرقي نهر (موسى) يأخذ من نهر (بين) الى ان يصل الى قصر المعتضد المعروف (بالثريا) ثم يخرج فينقسم ثلاثةانهار فيدخل احدها الى بستان الزاهر فيسقيه ويمضي الثاني الى باب بيبرز فيدخل البلد ويسمى نهر المعلى ويمر بين الدور الى باب سوق الثلاثاء ثم يدخل قصر الخلافة المسمى بالفردوس فيدور فيه ويصب الى دجلة » وقال ياقوت: « نهر المعلى وهو اليوم اشهر واعظم محلة ببغداد وفيها دار الخلافة المعظمة وهو نهر يدخل من باب « بين » (كذا ولعلها بيبرز) وهو باق الى الآن مستمده من الخالص فيسير تحت الارض حتى يدخل دار الخلافة وهو المسمى بالفردوس ... » وقد اراد بـ « هو » دار الخلافة والدار يجوز تذكيرها فظن مؤلف عمران بغداد انه عنى « المعلى » وقال الخطيب في ص ٧٠ : « ثم يمر النهر الثاني من المقسم الى باب بيبرز فيدخل البلد من هناك ويسمى نهر معلى ويمر بين الدور الى باب سوق الثلاثاء ثم يدخل قصر الخلافة المسمى بالفردوس فيدور فيه ويصب في دجلة » .

٦ — نهر المعلى وباب بيبرز والتاجية

لقد تكرر آنفاً ان نهر المعلى يدخل بغداد المسورة الشرقية من باب بيبرز ، فلذلك تجب معرفة هذا الباب ، قال ياقوت في مادة بيبرز : « بيبرز : بكسر اوله وفتح ثانيه وسكون الباء وفتح الراء وزاي ، محلة ببغداد وهي اليوم مقبرة بين عمارات البلد وابنيته من جهة محلة الظفرية والمقتدية بها قبور جماعة من الائمة منهم ابو اسحق ابراهيم بن علي الفيروزابادي الفقيه الامام ومنهم من يسميها : باب أبرز » قلنا : في غرب مقبرة الوردية (اي مقبرة الشيخ عمر السهروردي اليوم)

قبر عليه قبة ساذجة البناء كتب على كتف بابه انه مرقد ابراهيم بن موسى الكاظم (ع) وفي صحن المشهد الكاظمي اليوم قبر ابراهيم بن موسى الكاظم واهل مكة ادرى بشعابها من غيرهم ، وقد قال السيد محمود شكري الالوسي في ص ١١٨ من كتاب مساجد بغداد :

« وفي صحن الكاظمية حجرة صغيرة فيهـا قبر ابراهيم وقبر اخيه جعفر ابني موسى الكاظم . وقد عمرها سليم باشا الفريق وشاد القبة التي عليهما وذكر ذلك عبد الباقي الفاروقي بابيات نذكر منها شطر التاريخ وهو قوله : شاد سليم مرقد الفرقدين » فان كان ابراهيم المدفون في قرب مقبرة الشيخ عمر هو الفيروزابادي فمدفنه من مقبرة باب ابرز .

وجاء في ترجمة شهدة من تاريخ ابن خلكان : « وكانت وفاتها يوم الاحد بعد العصر ثالث عشر المحرم سنة اربع وسبعين وخمسمائة ودفنت بباب ابرز وقد نيفت على تسعين سنة من عمرها رحمها الله تعالى » ثم قال : « ومات والدها ابو نصر احمد في يوم السبت الثالث والعشرين من جمادى الاولى سنة ست وخمسمائة رحمه الله تعالى ، وكانت وفاته ببغداد ودفن بباب ابرز » ثم اخذ في تعريف ثقة الدولة علي بن محمد الانباري قائلا : « قال السمعاني : كان يخدم ابا نصر احمد ابن الفرج الابري وزوجه بنته شهدة الكاتبة ثم علت درجته الى ان صار خصيصاً بالمقتفي ، مولده سنة خمس وسبعين واربعمائة وتوفي يوم الثلاثاء سادس عشر شعبان سنة تسع واربعين وخمسمائة ودفن في داره برحبة الجامع ثم نقل بعد موت زوجته شهدة فدفنا بباب ابرز قريباً من المدرسة الناجية (كذا بنسختنا والصواب : التاجية) في محرم سنة اربع وسبعين وخمسمائة » . اﻫ .

وقال ابن خلكان في ترجمة محمد بن بختيار المعروف بالابله البغدادي : « وكانت وفاته على ما قاله ابن الجوزي في تاريخه في جمادى الآخرة سنة تسع وسبعين وقال غيره سنة ثمانين وخمسمائة ببغداد ودفن في باب ابرز محاذي الناجية (كذا) رحمه الله تعالى » اﻫ .

وقال ياقوت : « التاجية منسوبة : اسم مدرسة ببغداد ملاصق قبر الشيخ ابي اسحق الفيروزابادي نسبت اليها محلة هناك ومقبرة والمدرسة منسوبة الى

تاج الملك ابي الغنائم المرزبان بن خسرو فيروز المتولي لتدبير دولة ملكشاه بعد الوزير نظام الملك » .

وقال ياقوت في مادة « قراح » وقد ذكرناه سابقاً : « وذلك انك تخرج من رحبة جامع القصر مشرقاً حتى تتجاوز عقد المصطنع وهو باب عظيم في وسط المدينة فهناك طريقان ... والآخر يأخذ ذات الشمال مقدار رمية سهم الى درب يقال له درب النهر عن يمين القاصد الى قراح ابن رزين ثم يمتد قليلا ويشرق فحينئذ يقع في قراح ابن رزين فاذا صار في وسطه فعن يمينه درب النهر واللوزية وعن يساره محلة المقتدية (١) التي استحدثها المقتدي بالله ثم يمر في هذه المحلة اعني قراح ابن رزين نحو شوط فرس جيد فحينئذ ينتهي الى عقد هناك وباب فاذا خرج منه وجد طريقين احدهما يأخذ ذات الشمال يفضي الى المحلة المعروفة بالمختارة فيتجاوزها الى مقبرة باب بيرز (كذا في الطبعة المصرية والصواب بيبرز) بطولها طالباً للشمال فاذا انتهت المحلة وقع في محلة تعرف بقراح ظفر »اه.

فيعلم من هذا ان مقبرة باب ابرز داخلة في عمارة بغداد طويلة ممتدة الى شمالي بغداد . وقد وضع لسترنج على خارطة ص ٦٣ باب ابرز في غرب مقبرة الشيخ عمر اليوم اي محلة خان اللاوند اليوم ووضع المدرسة التاجية قرب محلة العزة اليوم اي بين محلة السور وخان اللاوند ، ولكنه لم يذكر قراح ظفر فهو اذن محلة العزة والسور اليوم ، غير ان لسترنج ذكر في خارطة ص ١٠٧ باب ابرز شرقي ثكنة الخيالة اليوم وجعل نهر المعلى يمر من ذلك الموضع في شمال بغداد حتى ادخله بغداد من شرقي باب المعظم اليوم ماداً اياه الى الجنوب حتى يوصله الى الفردوس قصر الخلافة . وبعض ما حمله على ذلك قول المؤرخين ان نهر المعلى يمر بين الدور الى باب سوق الثلاثاء فذهب رايه الى باب المعظم لانه نهاية سوق الثلاثاء اي شارع الميدان اليوم ويظهر ان مجراه كان مما يقرب من المستنصرية. ألا ترى عبد الحميد بن ابي الحديد يمدح المستنصرية قائلا :

مخيمة على نهر المعلى فدجلة لا المنيفة فالضمار

١) قلنا فكانت المقتدية على حسب التوجيه الذي ذكرناه في محلة المأمونية في غرب محلة قنبر على الحالية.

وورد ان هذا البيت كما في ص ٩٣ من تاريخ مساجد بغداد لشارح نهج البلاغة عبدالحميد ، فعلق محمد بهجة بالمعلى ما نصه: « محله اليوم بالرصافة يسمى سبع ابكار » ولكن اين الدليل والاستدلال ? فالشاعر يقول ان المستنصرية مخيمة على نهر المعلى والمهذب يقول محله كذا فما ابعد ما بين المستنصرية وسبع ابكار !

وقال ياقوت عن محلة المأمونية : « بين نهر المعلى وباب الازج » وعن المخرم: «بين الرصافة ونهر المعلى » .

٧ — الرصافة الاصلية

وضع العلامة لسترنج الرصافة الاصلية من شمال قبر ابي حنيفة (رض) الى كرادة المعظم الحالية ووضع في شرق قبره تربة الخلفاء العباسيين التي حسب محمود شكري الآلوسي انها قرب المستنصرية ، وجنوب القبر بقليل جامع الرصافة وجنوب هذا بقليل قصر المهدي بالرصافة وفي جنوبه تكون دجلة مائلة من الشرق الى الغرب وفي مبدأ ميلها « باب الطاق » ويلائم اليوم محل كرادة المعظم وتحت هذه ، بستان الزاهر وشرق الزاهر تبدأ محلة المخرم بطرف البلاط الملكي اليوم من الزاهر اذ ذاك .

والمؤرخون اذا اطلقوا لفظ الرصافة كان المراد هذه المواضع وما جاورها لا بغداد الشرقية اليوم ولذلك يقال تحارب اهل الرصافة واهل كذا من بغداد لانها صارت محلة مستقلة اخيراً .

٨ — باب الطاق

ذكرنا سابقاً ان محلة باب الطاق كانت بموضع كرادة المعظم اليوم والكرادة هذه متصلة بشمالي حديقة البلاط الملكي والان نورد ما ذكره بعض المؤرخين في وصفها وتحديدها : ففي ص ٢٥ من مناقب بغداد : « وقال ابو الوفاء ابن عقيل : سألني صدر من صدور طريق خراسان عن بغداد وما ادركت بها ، فقلت: لا اذكر لك امراً تكاد تستبعده فاذكر لك محلتي وهي واحدة من عشر محال ، كل محلة كبلد من بلاد الشام وهي المعروفة بباب الطاق . اما شوارعها فشارع مما يلي دجلة من احد جانبيه قصور على دجلة طراز ممتد من عند الجسر (١) الى اوائل

١) قلنا : هو الجسر . الاوسط والخارج من باب خراسان من مدينة المنصور بعر

الزاهر وهو بستان للملك نحو مئتي جريب ، وجانبه الآخر (١) مساجد ارباب القصور ومساكن غلمانهم وفي خلال ذلك اصطبلاتهم ، ثم يليه من يمنته عند الجسر سوق يحيى ، الجامعة بين دور الوزراء والامراء مما يلي الشط كدار شادي ، والربيب ، وابن الاوحد ، وقصر الوافي الذي كان عليق دوابه كل يوم الف مخلاة ؛ ثم في آخر هذا السوق دار فرج مساكن الثقاة والرؤساء . ومن الجانب الغربي – اعني جانب سوق يحيى – الدكاكين العالية ، والدروب العامرة من دقاقين وخبازين وحلاويين ؛ ثم نهاية الدور الشاطئية دار معز الدولة ذات المسناة التي عرضها مائة آجرة وكان لها الروشن (٢) البديع فهذا طراز باب الطاق الشاطئي . فأما دواخلها فأوائلها العرصة التي هي رحبة الجسر وتنقسم رحبة الجسر الى شارعين عظيمين : احدهما للاساكفة ثم سوق الطير وهو سوق يجمع الرياحين وفي حواشيها الصيارف الظراف واصحاب الطيالس وفاخر الملابس ثم سوق المأكول للخبازين والقصابين وسوق الصاغة لم يشاهد احسن منه بناء شاهق واساطين ساج عليها غرف مشرفة ، ثم الوراقين سوق كبيرة وهي مجالس العلماء والشعراء ثم سوق الرصافة عظيمة جامعة ثم شارع الترب » انتهى .

قلنا : وقد وصل في وصفه الى الرصافة فقطعنا عليه حديثه اللذيذ ووصفه المنسجم البديع الذي تشتاق العيون الى رؤية موصوفه كل الاشتياق ، واراد بشارع الترب « شارع ترب الخلفاء العباسيين » .

ونقل في ص ٢٧ منه عن واصف باب الطاق المار ذكره : « ولقد نزلت كثيراً في سميرية منحدراً فما أزال اسمع هذه الانغام من شرعة الجسر بباب الطاق الى باب المراتب » . وفي ص ٢٨ منه « وكانت اسواق الكرخ وباب

بالاصطبلات الخلفية (نسبة الى الخليفة) ثم بدائرة الجسر ودائرة صاحب الشرطة على دجلة . فيعبر الجسر الى باب الطاق (كرادة المعظم) انظر خارطة ص ١٠٧ من لسترنج ونهاية الجسر الكرخية اذ ذاك تحت (دفاقة) الماء الى الكرخ اليوم .

١) اي جانب ذلك الشارع المذكور .

٢) الروشن اريد به جناح السطح وتسميه عامتنا اليوم « شناشيل » وليس المراد الكوة على ماذكره مهذب مناقب بغداد وشناشيل تصحيف شاه نشين اي مجلس الملك وذلك بالفارسية . وفي نهج البلاغة « والدور المزخرفة التي لها اجنحة كأجنحة النسور »

الطاق لا يختلط العطارون بارباب الزهائم والروائح المنكرة ولا ارباب الانماط بارباب الاسقاط ».

قلت : وكانت دار ابي طاهر محمد بن بقية الوزير بباب الطاق . قال عنه ابن خلكان في « ٢ : ١٧٦ » من وفياته : « ولما حضرت الحرب بين عز الدولة وابن عمه عضد الدولة قبض عز الدولة عليه وسمله وحمله الى عضد الدولة مسمولا فشهره عضد الدولة وعلى رأسه برنس ، ثم طرحه للفيلة فقتلته ثم صلبه عند داره بباب الطاق » . وقال ياقوت في « باب الطاق » ما نصه : « باب الطاق : محلة كبيرة ببغداد بالجانب الشرقي تعرف بطاق اسماء وقد ذكرت في موضعها ، واجتاز عبدالله بن طاهر بها فرأى قمرية تنوح ، فامر بشرائها واطلاقها فامتنع صاحبها ان يبيعها باقل من خمسمائة درهم فاشتراها بذلك واطلقها وانشد يقول:

ناحت مطوقة بباب الطاق فجرت سوابق دمعي المهراق...»

قال مؤلف عمران بغداد في ص١٠٢ « محلة باب الطاق : كانت محلة كبيرة بالجانب الشرقي وتعرف بطاق اسماء ايضاً » وهنا يصح قول علي (ع) حينما حث العراقيين على الجهاد فقام اليه رجل واخاه فقط :« واين تقعان مما أريد ؟ » .

٩ — مشهد عبدالله اي قبر النذور

ذكرنا سابقاً ان جامع الرصافة قريب من قبر ابي حنيفة جداً ، من جهة الجنوب ، وكأن موضعه مجاور لجامعة آل البيت اليوم، وفي ص ٣٠ من مناقب بغداد ما نصه . « وقريب من جامع الرصافة قبر فيه بعض اولاد علي (ع) يتبرك به ، يقال : انه قبر عبيدالله بن محمد بن عمر بن علي بن الحسين » قلنا : ويسمى ايضاً «قبر النذور» ففي مادة « قبر » من معجم البلدان ما عبارته: « قبر النذور : مشهد بظاهر بغداد على نصف ميل من السور (كذا وفي المسافة خطأ تقديري وشك) يزار وينذر له ، قال التنوخي : كنت مع عضد الدولة وقد اراد الخروج الى همذان فوقع نظره على البناء الذي على قبر النذور فقال : يا قاضي ما هذا البناء ؟ قلت : أطال الله بقاء مولانا هذا مشهد النذور ولم اقل : قبر ، لعلمي بتطيره من دون هذا ، فاستحسن اللفظ وقال : قد علمت انه قبر النذور وانما اردت شرح امره ، فقلت له : هذا قبر عبيد الله بن محمد بن عمر بن علي بن

ابي طالب رضي الله عنهم وكان بعض الخلفاء اراد قتله خفية فجعل هناك زبية وستر عليها وهو لا يعلم فوقع فيها وهيل عليه التراب حياً ، وشهر بالنذور لانه لا يكاد ينذر له شيء إلّا ويصح ويبلغ الناذر ما يريد وانا احد من نذر له وصح مراراً لا احصيها ، فلم يقبل هذا القول وتكلم . بما دل على ان هذا وقع اتفاقاً فتسوق العوام باضعاف ذلك ويروون الاحاديث الباطلة ، فامسكت ، فلما كان بعد ايام يسيرة ونحن معسكرون في موضعنا استدعاني وذكر انه جربه لامر عظيم ونذر له وصح نذره في قصة طويلة » اه .

واذ علمت ان مشهد عبيد الله قرب جامع الرصافة فلا تركن الى ما نقل مؤلف عمران بغداد في ص ١٨٨ عن المرشد « ٣ : ٣٩١ » لعبد الحميد عبادة ونصه: « فلا يبعد ان يكون محل المشهد المذكور قرب ثكنة الخيالة خارج باب المعظم، وكان هذا المشهد يشتمل على قبر عبيدالله بن محمد من احفاد الحسن (كذا) بن علي (ع) الذي يكنى بابي النذور » لان بين الثكنة والرصافة القديمة: باب الطاق والزاهر البستان الفسيح وقسماً من محلة المخرم . والعجب ان المؤلف المذكور نقل في ص ١٥٢ من كتابه عن المدرسة العصمية: « وكانت هذه المدرسة تجاور مشهد عبيدالله بن محمد العلوي المعروف بأبي النذور الذي يقع بالقرب من جامع الرصافة في الجانب الشرقي ولا يبعد ان يكون محل المشهد المذكور قرب ثكنة الخيالة الحالية خارج باب المعظم » وكثير من كتابه مكرر بلا فائدة .

١٠ — القرية وقطفتا

قال في ص ١٠٥ من كتاب عمران بغداد : « واما القرية فهي بضم القاف وفتح الراء وتشديد الياء ، محلتان كبيرتان ... والاخرى كانت محلة كبيرة ايضاً بالجانب الغربي مقابل مشرعة مدرسة النظامية اي مقاهي المصبغة وماهو عن شرقيها .اه وقد نقل هذا التعيين عن محمد صالح السهروردي بالمرشد (٣ : ٣٤٨) . وهذا يحرف التاريخ عن مواضعه ففي معجم البلدان : « والقرية محلة كبيرة جداً كالمدينة من الجانب الغربي من بغداد مقابل مشرعة سوق المدرسة النظامية » اذن ، ليست مقابل المدرسة النظامية بل مقابل مشرعة سوقها ، اما ان مشرعة النظامية هي مقاهي المصبغة اليوم فيصعب تصديقه لان اللازم تعيين موضع المدرسة

ثم معرفة سوقها ثم مشرعته .

والقرية هذه يظهر لنا انها تمتد على دجلة من غربي بغداد من فوق الجسر العتيق اليوم الى ما فوق دار الندوة العراقية (المجلس النيابي) لانها كانت متصلة بمحلة قطفتا وهذه تشمل العمارات التي قرب مقبرة معروف الكرخي (رض) من الشرق والشمال فالفلاحات والفحامة وسوق حمادة والحصانة اليوم كانت من قطفتا . ففي ٣٩٦:٢ من نسختنا لوفيات ابن خلكان ما صورته عن ابي المظفر عون الدين : « يحكون ان عون الدين قال : كان سبب ولايتي المخزن انني ضاق ما بيدي حتى فقدت القوت اياماً فأشار علي بعض اهلي ان امضي الى قبر معروف الكرخي (رض) فأسأل الله تعالى عنده فان الدعاء عنده مستجاب، قال : فأتيت قبر معروف فصليت عنده ودعوت ثم خرجت لاقصد البلد [يعني بغداد] فاجتزت بعطفاء (كذا) قلت : ــوهي محلة من محال بغدادــ قال: فرأيت مسجداً مهجوراً اه . قلنا : والصواب انها « قطفتا » لا عطفاء ، ولم يزد ابن خلكان في ايضاحه على قوله : محلة من محال بغداد . وقال ياقوت : قطفتا بالفتح ثم الضم والفاء ساكنة وتاء مثناة من فوق والقصر : كلمة اعجمية لا اصل لها في العربية (١) ــ في علمي وهي محلة كبيرة ذات اسواق بالجانب الغربي من بغداد مجاورة لمقبرة الدير التي فيهــا قبر الشيخ معروف الكرخي (رض) بينها وبين دجلة اقل من ميل وهي مشرفة على نهر عيسى إلّا ان العمارة بها متصلة الى دجلة بينهما القرية محلة معروفة » اه .

فمن هذا لاتستبعد ما ذكرناه لك ، واكثر الفتن المذهبية في آخر الدولة العباسية وقعت بين القطفتيين والكرخيين اي اهل الكاظمية قديماً .

مصطفى جواد

(لغة العرب) كل ما يوشيه الاستاذ المحقق مصطفى افندي جواد مطبوع بطابع التدقيق والعلم الصادق ، وهو لا يخطو خطوة في اللغة ولا في التاريخ إلّا من بعد ان يتثبت ان يضع قدمه من منبسط الحقيقة ؛ وكل من قرأ مقالاته في هذه المجلة يحكم له بالقدح المعلى . ومن شك في تحقيقاته فليأتنا ببيناته .

---

١) قطفتا كلمة ارمية معناها :« ما يقتطف اوقطافة » وسميت كذلك لما كان فيها من جنات النعيم والثمار الطيبة والفواكه الشهية (ل.ع)